المحاضرة الرابعة: موضوع علم الاجتماع المعرفة.

1_ تعريف علم الاجتماع المعرفة.

يعرف معجم العلوم الاجتماعية علم الاجتماع المعرفة بأنه العلم الذي يسعى إلى إيجاد العلاقات بين أنماط من الأفكار والمعتقدات والاحكام والمفاهيم والتصورات، وبين الظروف الاجتماعية المختلفة التي تظهر فيها، وبذلك يؤكد ارتباط الاتجاهات الفكرية بأنواع معينة من الخبرات والتجارب البشرية، ولا يقبلها على علاقتها كما تبدو في مظهرها اللفظي العام، كذلك يضع في نفس الاطار مضمون الأفكار وفحواها، والقيمة التي تعطي لها ومدى امتدادها الى عالم التطبيق والتجسيد في النظم والمؤسسات الاجتماعية.

يعرفه **كارل ما نهايم** أنه: العلم الذي يهتم بتحليل العلاقة بين المعرفة والوجود

كما يمكن تعريفه أنه: العلم الذي يهتم بدراسة العلاقة بين صور المعرفة من جهة، والبيئات االجتماعية من جهة أخرى".

ويعنى علم اجتماع المعرفة من خلال دراسته للتحولات الاجتماعية التي تعزز تلك المعارف بأسس التفكير المنطقية، وتتشابك المعرفة الانسانية بالمعرفة العلمية وأوضح كثير من علماء الاجتماع أن المعرفة العلمية والانسانية ترتبطان بالنمط التحليلي للحوادث الطبيعية والاجتماعية.

2_ موضوع علم الاجتماع المعرفة.

المعرفة هي موضوع هذا العلم، ولكن المعرفة ليست مفهوما بسيطا، بل هي مفهوم متعدد المعاني والأبعاد وامضامين والمجالات، لذلك لا بد من تحديد المقصود بالمعرفة باعتبارها موضوعا للبحث في علم الاجتماع.

فالمعرفة عموما هي إدراك الأشياء وتصورها في الذهن، ولكن هذا الادراك يختلف في طبيعته وعمقه بين:

_ إدراك مظاهر الأشياء والظواهر أو صفاتها الثانوية وهو مستوى الإدراك الذي نتعامل على أساسه في حياتنا العادية اليومية العملية مع الأسرة والأصدقاء والناس العاديين، وهي المعرفة العادية الكيفية

المستخدمة في الحياة اليومية المشتركة بين الناس، فهي معرفة عادية غير عميقة، وهي تتكون من لغة الحياة الومية.

_ إدراك جوهرها أو صفاتها الاساسية، وهو مستوى الادراك الذي نتعامل به مع العلماء المتخصصين وفي مجالات البحث العلمي، وهو مستوى الإدراك العميق للأشياء وتلك هي المعرفة العلمية.

هناك من الباحثين من يرى أن علم الاجتماع المعرفة يبحث في الأفكار والوقائع والمعايير السائدة في المجتمع والعوامل التي أدت إلى وجودها، ومدى مطابقة هذه الأفكار لمنطق التطور التاريخي في المجتمع، وفي هذه الحال تبقى للابستمولوجية وظيفتها المستقلة.

ولكن ما يجعل موضوع علم الاجتماع المعرفة قريبا من نظرية المعرفة أنه يهتم بتحليل العلاقات الوظيفية المتبادلة بين التراكيب والعمليات الاجتماعية والعلمية وأنماط الحياة الفكرية بما في ذلك أنماط المعرفة أو الطريقة التي يتكون بها نسق التفكير عن طريق الوقائع الاجتماعية والتفاعلات الحاصلة بين المتغيرات الاجتماعية في البنية الاجتماعية.

ومن المواضيع والاشكاليات التي يبحث علم الاجتماع المعرفة في العلاقة بنها نجد:

_ المجتمع والعلم.

تأثير العلم على المجتمع متعددة، فهناك تأثيرات فكرية مباشرة، مثل تبديد العديد من المعتقدات التقليدية وتبني سواها، وهو ما أوحت به نجاحات المنهج العلمي، ثم هناك تأثيرات على التقنيات في الصناعة، وبدورها أحدثت تغيرات تغيرات بعيدة المدى في النظام الاجتماعي، التي برزت في المقام الاول نتيجة التقنيات الجديدة، تغييرات تدريجية مماثلة في الحياة السياسية.

لقد كان العلم العامل الأساسي في تبديد الخرافات البدائية الأخرى، فالخسوف والكسوف كانا أول ظاهرتين طبيعيتين خرجتا من حيز الخرافات البدائية إلى نطاق العلم، إذ استطاع البابليون التنبؤ بهما.

_المجتمع والمعرفة الدينية.

بالنسبة لاشكالية العلاقة بين المجتمع والمعرفة الدينية ومدى تأثير أو تأثر الدين بالظروف الاجتماعية، فإن الفكر والفقه الاسلاميين عرفا هذه الاشكالية، حيث تعرض لمناقشتها عدد من الفلاسفة

والفقهاء والمؤرخين، ومن علماء اجتماع المعرفة في الغرب الذين تعرضوا لهذه الاشكالية وناقشوها وأبدا رأيه فيها نذكر العالم "ماكس فيبر" الذي تبلور رأيه السوسيولوجي في الدين من خلال ابحاثه عن العلاقة بين الأخلاق البروتستانتية بروح الاقتصاد الرأسمالي، وكغيره من علماء الاجتماع وجد "فيبر" صعوبة في تعريف الدين، كما رفض الرأي القائل بأن الدين مجرد انعكاس للظروف المادية والمصالح الاجتماعية، من جهة أخرى أقر بوجود مصادر خاصة للتعاليم الدينية.

وقد قسم "فيبر" الدين الى قسمين: الدين التقليدي والدين العقلاني، كما قام بتحليل طبقات المجتمع المختلفة وموقف كل منها تجاه الدين ليصل لتأكيد تأثير نوع العلاقات الاجتماعية على نوع الدين بوصفه معرفة من حيث التقليدية أو العقلانية، كما أن الدين بوصفه نوعا من المعرفة يظهر بين الطبقات بصورة واحدة وصورة متفقة.

أما في الفكر الاسلامي الفقهي والفلسفي، فإن اشكالية العلاقة بين المجتمع والمعرفة الدينية قد طرحت وتمت مناقشتها في مستويات متعددة ومن منطلقات مختلفة، وذلك لوجود نص (وحي) منزل ونصوص متمثله في الأحاديث النبوية، ومعارف ذات صلة مباشرة بالوحي اللاهي المفارق للواقع والمجتمع، من حيث الفهم البشري للنص أو اهتمام نصوص الوحي بالمجتمع، وكذلك تأثير الوحي على الواقع وتوجيهه، وهذا ما جعل إشكالية العلاقة بين اواقع والمعارف الدينية تأخذ بعدا أكثر عمقا، وهذا واضح في كتب الفلسفة والكلام والفقه والاخلاق.

فالعلامة ابن خلدون قدم نظريات هامة في علم الاجتماع المعرفة فقد أشار في مقدمته إلى دور العوامل الجغرافية والاجتماعية والاقتصادية، وتأثيرها في مستوى المعرفة الإنسانية، وعلى مضمون ومصير العلوم، وقد ضرب "ابن خلدون" أمثلة على تأثير المجتمع في مستوى الإدراك واختيار نوع المعرفة الدينية عندما ميز بين مذاهب الحضر ومذاهب البدو، وهذا ما يبرر في نظره اهتمام أهل الحجاز بالحديث والرواية بينما يطغى على أهل العراق الاهتمام بالقياس والعقل.

_المجتمع والفلسفة.

لا يعيش الفلاسفة بعيدا عن قضايا المجتمع والناس، بل هم متشابكون مع الواقع، فالفلسفة هي فكر المجتمع مركز في مذهب، فكل المجتمعات من حولنا تعبر عنها فلسفة معينة بذاتها، فلكل مجتمع فلسفته الخاصة التي تساير واقعه وتعبر عن ثقافته وحضارته وقضاياه الاجتماعية والسياسية الاخلاقية

وغيرها، فالولايات المتحدة تتخذ من الفلسفة البرغماتية مذهبا لها، فالبرغماتية تحاول الابتعاد عن كل ما هو ميتافيزيقيى ومجرد، والتي تقرن الحقيقة بالمنفعة من حيث تقرر أن الشيء يكون صادقا متى حقق نفعا بالنسبة إليه، ويكون كاذبا إذا لم يحقق هذا النفع، تعبر أصدق عن حياة المصلحة والمنفعة التي تقوم عليها سياسة الولاية المتحدة الأمريكة في الداخل والخارج، فالولايات المتحدة الامريكية لا تقدم المعونات الخارجية للدول المختلفة من أجل اعتبارات انسانية ولكن من أجل فرض سيطرتها وهيمنتها على هذه الدول، إن الفلسفة البرغماتية وهي فلسفة علمية هي نتاج الواقع الأمريكي وتعبيرا عن قضاياه.

أما الاتحاد السوفياتي اذي تفككت أواصره، وتفتت إلى دويلات، وجمهورية الصين الشعبية وغيرها من الدول الاشتراكية، كانت تعتمد على الفلسفة الماركسية مذهبا لها، تلك الفلسفة التي شيدها "كارل ماركس" على اسس مادية واقتصادية خلال ماديته الجدلية والتاريخية، بحيث تكون المادة وحركتها الأساس التحتي أو البناء التحتي (الاقتصاد والانتاج) الذي ينعكس منه البناء الفوقي من أيديولوجيا وثقافة ودين وقانون وغير ذلك، وظلت الماركسية هي فلسفة الصين الشعبية حتى وقتنا الراهن، علاوة على استمرار الحزب الشيوعي القائم على الماركسية في التأثير على المجريات السياسية والاجتماعية للكثير من دول العالم.